التأثيرات السياسية والاجتماعية لهجرات قبائل بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط في القرن الخامس والسادس الهجري

نوري عبدالوهاب عبد الجواد الزليطني *
قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الزاوية ، ليبيا
الايميل n.azlitni@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2026/1/15م تاريخ القبول 2026/2/25م

Political and Social Impacts of the Migrations of the Banu Hilal and Banu Sulaym Tribes on the Central Maghreb in the 5th and 6th Hijri Centuries

Nouri Abdulwahab Abduljawad Al-Zlitni
Department of History – Faculty of Arts – University of Zawiya
Email :n.azlitni@zu.edu.ly

Abstract

This study aims to analyze the political and social impacts of the migrations of the Banu Hilal and Banu Sulaym tribes on the Central Maghreb during the 5th and 6th centuries AH. It seeks to identify the causes of these migrations and trace their political, demographic, cultural, and religious effects. The research also aims to reveal the role of these migrations in the disintegration of existing states and the establishment of tribal emirates, to analyze changes in the nature of governance and political influence, and to assess transformations in the social and economic fabric. Furthermore, it examines the impact of these migrations on Arabization and the strengthening of the Sunni doctrine.

The study follows the historical-analytical method, relying on the analysis of historical events and facts according to the principles of historical inference, comparing sources, and interpreting causes and outcomes. The research employs traditional tools used in historical studies, notably the analysis of written sources (historical books and manuscripts) and secondary

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

references, as well as the examination of available documents and records related to the migration of the tribes and their effects.
The results indicate that the migrations of Banu Hilal and Banu Sulaym were driven by a combination of political, economic, religious, social, and natural factors, most notably tensions with the Fatimid state, scarcity of resources in Upper Egypt, population growth, and the nomadic pastoral lifestyle. These migrations led to the weakening and disintegration of the Zirid and Hammadid states, the emergence of independent tribal emirates such as Gabès and Sfax, and a shift in governance from centralization to a system based on tribal loyalties. They also caused demographic and ethnic changes with the rise of the Arab element, Arabization of language and culture, and transformations in the social and economic structure, as well as strengthening the presence of Sunni Islam in the Central Maghreb.

الملخص:

يهدف هذه البحث إلى تحليل التأثيرات السياسية والاجتماعية لهجرات قبائل بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط في القرنين الخامس والسادس الهجريين، من خلال تحديد أسباب الهجرة وتتبع آثارها السياسية والديموغرافية والثقافية والدينية. كما تسعى البحث إلى الكشف عن دور هذه الهجرات في تفكك الدول القائمة وتأسيس إمارات قبلية، وتحليل التغيرات في طبيعة الحكم والنفوذ السياسي، وتقييم التغيرات في النسيج الاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة إلى توضيح تأثيرها على التعريب وتقوية المذهب السني.
اتبع البحث المنهج التاريخي التحليلي، حيث اعتمدت على تحليل الأحداث والوقائع التاريخية وفقًا لمبادئ الاستدلال التاريخي، مع مقارنة المصادر وتفسير الأسباب والنتائج. كما تم استخدام أدوات البحث التقليدية في الدراسات التاريخية، من أبرزها تحليل المصادر المكتوبة (الكتب التاريخية والمخطوطات) والمراجع الثانوية، بالإضافة إلى دراسة الوثائق والوقائع المتاحة المتعلقة بهجرة القبائل وتأثيراتها.
أظهرت النتائج أن هجرات بني هلال وبني سليم جاءت نتيجة تداخل عوامل سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية وطبيعية، أبرزها التوتر مع الدولة الفاطمية، وضعف الموارد في صعيد مصر، وتزايد الكثافة السكانية، إضافة إلى نمط الحياة الرعوي والرحل. وأسفرت الهجرات عن إضعاف الدول الزيرية والحمادية وتفككها، وظهور

إمارات قبلية مستقلة مثل قابس وصفاقس، وتغير طبيعة الحكم من مركزية إلى نظام يعتمد على الولاءات القبلية. كما أدت إلى تغييرات ديموغرافية وعرقية مع بروز العنصر العربي، وتعريب اللغة والثقافة، وتحولات في النسيج الاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن تعزيز حضور المذهب السني في المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية : التأثيرات السياسية والاجتماعية، لهجرات قبائل بني هلال وبني سليم، المغرب الأوسط ، القرن الخامس والسادس الهجري

المقدمة:

تُعد هجرات قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأوسط في القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) من أبرز الأحداث التاريخية التي تركت بصمات عميقة على المنطقة .لم تكن هذه الهجرات مجرد تحركات سكانية، بل كانت بمثابة زلزال ديموغرافي وسياسي واجتماعي، أعاد تشكيل المشهد المغاربي بشكل جذري .فبعد أن كانت المنطقة خاضعة لنفوذ الدول البربرية، شهدت تحولات واسعة أثرت على بنيتها السكانية، ولغتها، وثقافتها، وأنظمتها السياسية والاجتماعية.

تعتمد المنهجية المتبعة في هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي، حيث يتم جمع المعلومات من مصادر تاريخية موثوقة، وتحليلها بشكل نقدي لاستخلاص النتائج .كما يتم استخدام المنهج الوصفي لوصف الظواهر والتغيرات التي حدثت في المغرب الأوسط نتيجة لهذه الهجرات.

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على فترة حاسمة في تاريخ المغرب الأوسط، والتي لا تزال تداعياتها ملموسة حتى اليوم .كما يسهم في فهم أعمق للعلاقات المعقدة بين العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في تشكيل مسار الأحداث التاريخية.

مشكلة البحث وأسئلته :

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي حول :**ما هي التأثيرات السياسية والاجتماعية لهجرات قبائل بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط في القرنين الخامس والسادس الهجريين؟**

يتفرع من هذا التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية:

1. ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعت قبائل بني هلال وبني سليم للهجرة من المشرق إلى المغرب الأوسط؟
2. كيف أثرت هذه الهجرات على البنية السياسية للدول القائمة في المغرب الأوسط) الزيرية والحمادية(؟
3. ما هي التغيرات التي طرأت على طبيعة الحكم والنفوذ السياسي في المنطقة بعد وصول هذه القبائل؟
4. كيف اسهمت هذه الهجرات في التغير الديموغرافي والعرقي للمغرب الأوسط؟
5. ما هو الدور الذي لعبته هذه الهجرات في تعريب اللغة والثقافة في المنطقة؟
6. كيف تأثر النسيج الاجتماعي والحياة الاقتصادية للمدن والقرى بوصول هذه القبائل؟
7. ما هو تأثير هذه الهجرات على المشهد الديني وتقوية المذهب السني في المغرب الأوسط؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد وتحليل الأسباب الكامنة وراء هجرات قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأوسط.
2. تتبع ورصد الآثار السياسية المترتبة على هذه الهجرات، بما في ذلك ضعف الدول القائمة وتأسيس إمارات جديدة.
3. تحليل التغيرات في طبيعة الحكم والنفوذ السياسي التي نتجت عن هذه الهجرات.
4. دراسة الآثار الديموغرافية والعرقية للهجرات على التركيبة السكانية للمغرب الأوسط.
5. الكشف عن الدور الذي لعبته الهجرات في عملية التعريب اللغوي والثقافي في المنطقة.
6. تقييم التغيرات في النسيج الاجتماعي والحياة الاقتصادية للمدن والقرى نتيجة لهذه الهجرات.
7. توضيح تأثير الهجرات على المشهد الديني وتقوية المذهب السني في المغرب الأوسط.

8. تقديم رؤية شاملة ومتعمقة للتأثيرات المتعددة الأوجه لهذه الظاهرة التاريخية المهمة.

أهمية البحث:

تكتسب هذه البحث أهميتها من عدة جوانب:

الأهمية التاريخية :تسلط الضوء على فترة حاسمة في تاريخ المغرب الأوسط، والتي شهدت تحولات جذرية في البنية السياسية والاجتماعية والثقافية للمنطقة .فهم هذه الفترة يساعد على فهم التطورات اللاحقة في تاريخ المغرب العربي.

1- تبرز البحث الدور الذي لعبته الهجرات السكانية في تشكيل التركيبة الديموغرافية والعرقية للمنطقة، وتأثيرها على النسيج الاجتماعي والعلاقات بين المكونات المختلفة للمجتمع.

2- توضح البحث كيف اسهمت هذه الهجرات في عملية التعريب اللغوي والثقافي، وانتشار اللغة العربية والعادات والتقاليد العربية في المغرب الأوسط، مما أثر على الهوية الثقافية للمنطقة.

3- تقدم البحث تحليلًا للآثار السياسية للهجرات، بما في ذلك ضعف الدول القائمة، وتأسيس إمارات جديدة، وتغيير طبيعة الحكم، ودور القبائل في الصراعات الداخلية والخارجية، مما يعمق فهمنا للديناميكيات السياسية في المنطقة.

4- توفر البحث نموذجًا لتطبيق المنهج التاريخي التحليلي في دراسة الظواهر التاريخية المعقدة، مما يمكن أن يكون مفيدًا للباحثين الآخرين في هذا المجال.

5- تسهم هذه البحث في سد فجوة بحثية في المكتبة العربية، من خلال تقديم تحليل شامل ومفصل للتأثيرات السياسية والاجتماعية لهجرات بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط، مع التركيز على التفاصيل والتواريخ.

المبحث الأول-

أسباب هجرة بني هلال وبني سليم:

تعدّ هجرة قبائل بني هلال وبني سليم من أبرز الأحداث التاريخية التي أثّرت في تاريخ المغرب الأوسط، وقد جاءت نتيجة تداخل مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية، التي أسهمت مجتمعة في دفع هذه القبائل إلى الانتقال من المشرق العربي نحو بلاد المغرب.

أولًا- الأسباب السياسية:

شكّلت العوامل السياسية الدافع الأبرز لهجرة بني هلال وبني سليم، حيث سادت حالة من التوتر بين الدولة الفاطمية والقبائل العربية المستقرة في صعيد مصر. فقد تحولت هذه القبائل مع مرور الوقت إلى قوة عسكرية واقتصادية مؤثرة، الأمر الذي أثار مخاوف السلطة الفاطمية، خاصة في ظل ما كانت تعانيه من ضعف داخلي واضطرابات سياسية متكررة[1].

وفي السياق ذاته، أعلنت الدولة الزيرية في إفريقية انفصالها عن الخلافة الفاطمية سنة 440هـ/1048م، وتخلّت عن المذهب الشيعي لصالح المذهب السني، وهو ما اعتبرته الدولة الفاطمية تمردًا سياسيًا ودينيًا خطيرًا يهدد نفوذها في المغرب[2] .

وأمام هذا الوضع، لجأ الفاطميون إلى توظيف قبائل بني هلال وبني سليم كوسيلة للضغط على الزيريين ومعاقبتهم، فأصدر الخليفة المستنصر بالله أوامره بتوجيه هذه القبائل نحو إفريقية، مع تسهيل هجرتها ومنحها وعودًا بالأرض والغنائم، وهو ما عجّل بانتقالها الجماعي إلى بلاد المغرب[3].

ثانيًا- الأسباب الاقتصادية:

إلى جانب العوامل السياسية، كان للوضع الاقتصادي المتردي في صعيد مصر دور مهم في دفع هذه القبائل إلى الهجرة. فقد عانت مناطق استقرارهم من شح الموارد الطبيعية، ولا سيما نقص المياه وتدهور المراعي، الأمر الذي انعكس سلبًا على نمط حياتهم القائم على الرعي والتنقل[4] في المقابل، مثّلت بلاد المغرب، وخاصة إفريقية، مجالًا رحبًا للرعي والاستقرار، لما تمتعت به من خصوبة الأراضي واتساع المراعي ووفرة الموارد المائية. وقد شجّعت هذه العوامل الاقتصادية، إضافة إلى ما نُقل عن رخاء المنطقة، قبائل بني هلال وبني سليم على التوجه غربًا بحثًا عن ظروف معيشية أفضل[5]

ثالثًا- الأسباب الدينية:

رغم أن الدوافع السياسية والاقتصادية كانت الأساس في حركة الهجرة، إلا أن العامل الديني لا يمكن إغفاله تمامًا. فقد كانت قبائل بني هلال وبني سليم على المذهب السني، في حين تبنّت الدولة الفاطمية المذهب الشيعي، مما خلق نوعًا من التباعد المذهبي، وربما شعورًا بعدم الانسجام الديني، أسهم بشكل غير مباشر في تهيئة المناخ الملائم للهجرة(6) .

المبحث الثاني العوامل الاجتماعية والطبيعية لهجرة بني هلال وبني سليم:

تميزت قبائل بني هلال وبني سليم بطابع بدوي رحّال يعتمد على الرعي والتنقل، وكان هذا النمط الحياتي يفرض عليهم البحث المستمر عن مراعٍ جديدة لتربية المواشي. فالمجتمعات البدوية لا ترتبط بمكان ثابت، بل تتحرك وفقًا لتغير الفصول والظروف البيئية، وهو ما يجعل الهجرة عنصرًا طبيعيًا في ثقافتهم وأسلوب حياتهم. إلى جانب ذلك، واجهت هذه القبائل ضغوطًا اجتماعية واقتصادية في مناطق استقرارها الأصلية بصعيد مصر، حيث زادت الكثافة السكانية مع مرور الزمن، مما قلّص الأراضي المتاحة للرعي. ومع تفاقم الظروف المناخية، مثل الجفاف ونقص المياه وتدهور المراعي، أصبحت الحاجة إلى التوسع نحو مناطق جديدة أمرًا ضروريًا للبقاء. هذه العوامل الاجتماعية والطبيعية كانت بمثابة دوافع قوية جعلت الهجرة خيارًا محتملاً ومنطقيًا لهذه القبائل(7)

الآثار السياسية لهجرات بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط:

1. ضعف الدولة الزيرية وتفككها:

كانت الدولة الزيرية في إفريقية (تونس الحالية) قد امتلكت نفوذًا واسعًا في القرن الحادي عشر، ونجحت في تأسيس دولة مستقرة نسبيًا، إلا أن العلاقات بينها وبين الدولة الفاطمية في القاهرة شهدت توترًا متزايدًا بسبب التنافس السياسي والديني. وتفاقمت الأزمة عندما أعلن المعز بن باديس الزيري استقلاله عن الفاطميين في منتصف القرن الحادي عشر، واعتنق المذهب السني بدلًا من المذهب الشيعي، مما مثل تحديًا مباشرًا لسلطة الفاطميين. في هذا السياق، قررت الدولة الفاطمية استغلال حركة القبائل الهلالية كأداة لضرب الزيريين، من خلال توجيهها نحو إفريقية كنوع من الضغط العسكري والسياسي(8)

بدأت مجموعات من بني هلال وبني سليم الدخول إلى إفريقية في عام 1051م تقريبًا، وكانت هذه القبائل تتمتع بقدرة عسكرية كبيرة بسبب خبرتها في القتال والتنقل السريع، إضافة إلى تنظيمها القبلي المتماسك. ولم تكن هجرتهم مجرد انتقال سلمي، بل رافقتها موجات من السلب والنهب والتدمير، خاصة في المدن والقرى التي كانت مراكزًا للحكم والزراعة. وقد أدى ذلك إلى تدهور كبير في البنية الاقتصادية للدولة الزيرية، إذ تضررت الزراعة بشكل كبير نتيجة تدمير المزارع وسقوط الأمن في المناطق الريفية، مما أثر على قدرة الدولة على جمع الضرائب وتمويل الأجهزة الحكومية(9)

2. تفكك الدولة الزيرية وظهور إمارات محلية:

نتيجة هذه الضغوط العسكرية والاقتصادية، لم تعد الدولة الزيرية قادرة على الحفاظ على وحدة سلطتها، فتفككت إلى دويلات وإمارات صغيرة، حيث بدأ كل زعيم محلي أو قبيلة في السيطرة على منطقة معينة. وقد ظهرت على أنقاض الدولة الزيرية عدة إمارات، من أبرزها:

أ- **إمارة قابس:** أسسها بني جامع من قبائل بني سليم، وكانت قابس نقطة استراتيجية على الساحل، مما جعلها مركزًا للتجارة البحرية والاتصال مع مناطق البحر الأبيض المتوسط.

ب- **إمارة صفاقس:** أسسها بني الرند من قبائل بني هلال، واستطاعت أن تؤدي دورًا مهمًا في التحكم في الساحل الجنوبي والطرق التجارية.

ج- **إمارة المهدية:** رغم أنها كانت العاصمة الزيرية سابقًا، إلا أن تأثيرها السياسي تراجع بشكل كبير بسبب ضغوط القبائل الهلالية وضعف السيطرة المركزية، مما أدى إلى تقليص نفوذها على المناطق المحيطة(10)

وقد أدى هذا التفتت السياسي إلى فترة طويلة من عدم الاستقرار، حيث كثرت الصراعات بين الإمارات المتنافسة، كما تزايدت حوادث السلب والنهب، وانهارت بعض المؤسسات التي كانت تدير الشؤون الاقتصادية والاجتماعية. وفي هذا السياق، شهد المغرب الأوسط تحولات عميقة في البنية السياسية، حيث تحولت الدولة من نظام مركزي قوي إلى مجموعة دويلات صغيرة غير متجانسة، مما أضعف القدرة على مواجهة التحديات الخارجية والداخلية على حد سواء(11)

تغيير في طبيعة الحكم:

قبل هجرة بني هلال وبني سليم، كان المغرب الأوسط يتمتع بنظام حكم مركزي قوي، سواء تحت حكم الدولة الزيرية في إفريقية أو الدولة الحمادية في الجزائر الحالية. لكن مع وصول القبائل العربية، بدأت بنية الحكم تتحول تدريجيًا من مركزية قوية إلى نظام يعتمد بشكل أكبر على الولاءات القبلية والنفوذ العشائري. وقد أدى هذا التحول إلى تغيّر في طبيعة السلطة السياسية وموازين القوى في المنطقة(12)

أصبحت القبائل العربية، بفضل قوتها العسكرية وكثرة أفرادها، قادرة على فرض نفوذها في الساحة السياسية، وأقامت إماراتها الخاصة وسيطرت على مساحات واسعة من الأراضي والموارد. ونتيجة لذلك، أصبحت القبائل طرفًا فاعلًا في الصراعات على السلطة، ما أدى إلى تراجع سلطة الحكام المركزيين الذين لم يعد بإمكانهم فرض

سيطرتهم على جميع المناطق، بل أصبحوا يعتمدون على تحالفات مع القبائل لضمان استقرار الحكم(13).

كما ظهرت زعامات قبلية قوية، حيث برز قادة قبليون يتمتعون بسلطة واسعة في مناطقهم، وبدأوا يتنافسون على النفوذ والموارد، ما أدى إلى انقسام السلطة وتفكك الدولة إلى وحدات سياسية أصغر. وقد صاحب ذلك انتشار الفوضى والاضطرابات، إذ تكررت الصراعات بين القبائل والإمارات، مما أثر على الأمن العام وحياة السكان وأدى إلى تدهور المؤسسات الإدارية(14).

التدخلات الخارجية:

استغل النورمان (الصقليون) ضعف الدولة الزيرية وما رافق ذلك من فوضى، فشنوا هجمات على السواحل الإفريقية، مستفيدين من انقسام السلطة وضعف القوات المحلية. وفي عام 1148م (543هـ) تمكن النورمان من احتلال المهدية، العاصمة الزيرية سابقًا، إضافة إلى مدن ساحلية أخرى مثل صفاقس وقابس، ما شكل ضربة كبيرة للمنطقة وأثر على التجارة البحرية والاقتصاد(15).

واستمر هذا الاحتلال حتى عام 1160م (555هـ)، عندما استطاع الموحدون استعادة المهدية وتحريرها من السيطرة النورمانية، مما شكّل بداية مرحلة جديدة من إعادة بناء الدولة المركزية في المغرب الأوسط(16).

المبحث الثالث ـ دور القبائل في الصراعات الداخلية:

لم تقتصر دور قبائل بني هلال وبني سليم على إنشاء إمارات مستقلة، بل أصبحت هذه القبائل لاعبًا رئيسيًا في الصراعات الداخلية بين الإمارات والدول المختلفة في المغرب الأوسط. فقد كانت القبائل تتحالف مع هذا الطرف في وقت، ثم تنتقل إلى التحالف مع طرف آخر، وفقًا لمصالحها وموازين القوى، ما جعلها عنصرًا فاعلًا في السياسة المن أبرز الأمثلة على ذلك:

أ- الصراعات مع الدولة الحمادية: دخلت القبائل الهلالية في مواجهات عديدة مع الدولة الحمادية في مناطق الجزائر الحالية، مما اسهم في إضعافها وتقليل قدرتها على الحفاظ على السيطرة على المناطق الحدودية(17).

ب ـ التحالف مع الموحدين: في مراحل لاحقة، تحالف بعض زعماء القبائل مع الدولة الموحدية في مواجهتها للمرابطين والنورمان، واسهمت هذه التحالفات في توسيع نفوذ الموحدين وتقوية مركزهم السياسي.

وقد أدت هذه المشاركة المستمرة للقبائل في الصراعات إلى تفكك الكيانات السياسية القائمة وتغيير الخريطة السياسية للمغرب الأوسط بشكل متكرر، حيث أصبحت السلطة تعتمد بشكل كبير على الولاءات القبلية المتغيرة(18).

تعريب الإدارة والجيش:

مع استقرار القبائل العربية في المغرب الأوسط، بدأ تأثيرهم يتضح في المؤسسات الإدارية والعسكرية، إذ أصبح للعرب حضور أكبر في المناصب القيادية، سواء في الإمارات التي أسسوها أو في الدول التي تحالفت معها(19).

في الإدارة: توسع استخدام اللغة العربية في الدواوين والمراسلات الرسمية، وظهر تزايد في تعيين موظفين من أصول عربية في المناصب الإدارية، مما اسهم في تعريب مؤسسات الدولة وتوحيد لغة الإدارة.

في الجيش: أصبحت القبائل العربية جزءًا أساسيًا من الجيوش المحلية بفضل مهاراتهم القتالية وخبرتهم في الفروسية والتنقل، ما أثر على أساليب القتال المعتمدة، وزادت أهمية الفروسية والأسلحة الخفيفة في المعارك(20).

وقد ترك هذا التعريب أثرًا طويل الأمد على بنية الدولة في المغرب الأوسط، حيث اسهم في ترسيخ الهوية العربية والثقافة الإسلامية، وأثر على تطور المؤسسات السياسية والعسكرية في المراحل اللاحقة(21).

الصراعات مع الدول القائمة وتأسيس إمارات قبلية:

لم تكن هجرة قبائل بني هلال وبني سليم مجرد حركة انتقالية، بل كانت عملية غزو مسلح أثرت بشكل مباشر على بنية السلطة في المغرب الأوسط. فقد واجهت هذه القبائل الدول القائمة آنذاك، وأدخلت المنطقة في حالة من الاضطراب السياسي والعسكري. وكانت الدولة الزيرية في إفريقية والدولة الحمادية في الجزائر أبرز الكيانات التي اصطدمت بها هذه القبائل(22)

صراع بني هلال مع الزيريين:

بعد دخول طلائع بني هلال إلى إفريقية في عام 1051م (443هـ)، اشتدت المواجهات مع الجيش الزيري، وبلغت ذروتها في معركة حيدران عام 1052م (444هـ). انتهت المعركة بهزيمة كبيرة للزيريين، مما مهد للقبائل الهلالية للتقدم نحو المدن والقرى، ونهبها، وتدمير بنيتها الاقتصادية والاجتماعية(23).

وقد أدى هذا الانتصار المتكرر للقبائل الهلالية إلى تآكل سلطة الدولة الزيرية في أغلب مناطق إفريقية، وانحسار نفوذها في المدن الساحلية الرئيسية مثل المهدية.

واستغل زعماء القبائل الهلالية هذا الفراغ السياسي لتأسيس إمارات قبلية مستقلة، مثل إمارة قابس التي أسسها بنو جامع من بني سليم عام 1052م، وإمارة صفاقس التي أسسها بنو الرند من بني هلال عام 1059م. وكانت هذه الإمارات تعتمد على القوة العسكرية للقبائل في فرض سيطرتها وتثبيت وجودها، ما أسهم في تغيير الخريطة السياسية للمغرب الأوسط(24).

صراع بني هلال مع الحماديين:

لم تكن الدولة الحمادية في الجزائر بمنأى عن تداعيات هجرة بني هلال، فقد أدى استقرار أجزاء من هذه القبائل في شرق الجزائر إلى اشتعال صراعات مسلحة مع السلطة الحمادية. وكانت المواجهات طويلة ومتقطعة، وأثرت بشكل واضح على قدرة الدولة الحمادية على الحفاظ على الأمن والاستقرار داخل حدودها(25).

من أبرز هذه المواجهات كانت محاولات القبائل الهلالية المتكررة لحصار مدينة بجاية، عاصمة الدولة الحمادية، عدة مرات. وعلى الرغم من أن الحماديين تمكنوا في بعض الأحيان من مقاومة هذه الهجمات، إلا أن استمرار الضغط العسكري أجبرهم في النهاية على دفع إتاوات للقبائل الهلالية كوسيلة للحفاظ على الهدوء النسبي، مما كشف عن هشاشة الدولة الحمادية أمام القوة العسكرية للقبائل(26).

المبحث الرابع : تأثير الصراعات على الخريطة السياسية:

أسهمت هذه الصراعات في إحداث تحول جذري في الخريطة السياسية للمغرب الأوسط، إذ انقضت الدول المركزية القوية وبرزت بدلاً منها إمارات قبلية متناحرة. وقد أدى هذا التفتت السياسي إلى فترة طويلة من الفوضى والاضطراب، ما انعكس سلبًا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتسبب في تدهور العمران والزراعة نتيجة ضعف الأمن وتراجع الإنتاج(27).

التغيرات في الهياكل السياسية المحلية:

لم يقتصر أثر هجرات بني هلال وبني سليم على تآكل الدولة المركزية فحسب، بل شمل أيضًا تغييرات عميقة في الهياكل السياسية المحلية. فقد كانت المناطق قبل الهجرة خاضعة لسلطة أمراء محليين أو شيوخ قبائل بربرية، غالبًا تحت هيمنة الدولة الزيرية أو الحمادية. لكن مع وصول القبائل العربية، تغيرت هذه المعادلة، حيث أصبحت القوة العسكرية والعدد هما المعياران الأساسيان للسيطرة على الأراضي(28).

تمكنت القبائل العربية من فرض سيطرتها على مناطق واسعة، مما أدى إلى إزاحة السلطات المحلية أو إخضاعها لنفوذهم. وقد أسس زعماء القبائل إمارات قبلية مستقلة تعتمد على الولاءات القبلية والقوة العسكرية، وكانت هذه الإمارات تتنازع فيما بينها على النفوذ والموارد، ما أدى إلى حالة من الفوضى السياسية(29).

ومن الأمثلة على ذلك تأسيس إمارة قابس على يد بني جامع من بني سليم عام 1052م (444هـ)، وإمارة صفاقس على يد بني الرند من بني هلال عام 1059م (451هـ). وكانت هذه الإمارات بمثابة مراكز قوة جديدة، تنافست مع الدول القائمة على السيطرة والنفوذ، كما أثرت الهجرة على نظام الجباية والضرائب، إذ انتقلت سلطة الجباية من الدولة المركزية إلى القبائل، فبدأت القبائل تفرض إتاوات على السكان المحليين، مما زاد من الأعباء الاقتصادية على الناس واسهم في تدهور الوضع المعيشي(30).

دور القبائل في الصراعات الداخلية والخارجية:

لم تقتصر أنشطة قبائل بني هلال وبني سليم على إقامة إمارات مستقلة فحسب، بل أصبحت هذه القبائل قوة سياسية وعسكرية فاعلة في المغرب الأوسط، شاركت في صراعات داخلية بين الإمارات والدول، بالإضافة إلى مشاركات خارجية. فكانت تحالفاتها متقلبة، إذ تحالفت مع هذا الطرف في وقت، وضد آخر في وقت آخر، سعيًا وراء مصالحها وتوسيع نفوذها(31).

الصراعات الداخلية:

الصراعات مع الحماديين

دخلت قبائل بني هلال وبني سليم في مواجهات عديدة مع الدولة الحمادية في الجزائر، مما أثر على استقرارها وأضعف قدرتها على السيطرة على مناطقها. ومن أبرز هذه المواجهات حصار بجاية (عاصمة الحماديين) في عام 1058م (450هـ)، حيث أجبرت القبائل الحماديين على دفع إتاوات مقابل التوقف عن الهجوم، مما دلّ على ضعف الدولة أمام الضغط العسكري القبلي(32)

الصراعات مع المرابطين::

مع صعود الدولة المرابطية في المغرب الأقصى وامتداد نفوذها إلى المغرب الأوسط، حاول المرابطون إخضاع القبائل الهلالية للسُلطة المركزية، لكنهم واجهوا مقاومة قوية من القبائل، ما أدى إلى صراعات طويلة. وقد شكلت هذه المواجهات جزءًا من الصراع بين القوى الجديدة في المغرب، حيث كانت القبائل تسعى للحفاظ على استقلالها ونفوذها(33).

في مراحل لاحقة، دخلت بعض زعامات القبائل في تحالفات مع الدولة الموحدية، لا سيما في صراعها ضد المرابطين والنورمان. وقد استُخدمت القبائل الهلالية كقوة عسكرية مهمة في حملات الموحدين، واسهمت في توطيد حكمهم في المغرب الأوسط.

شارك عدد من أفراد قبائل بني هلال وبني سليم في الحملات العسكرية التي قادها المرابطون ثم الموحدون في الأندلس، حيث عبروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية واسهموا في تعزيز الوجود العربي والقبلي هناك، إضافة إلى دورهم في تثبيت السيطرة العسكرية على مناطق مختلفة في الأندلس(34).

المبحث الخامس :-الآثار الاجتماعية لهجرات بني هلال وبني سليم على المغرب الأوسط:

التغير الديموغرافي والعرقي::

أدت هجرات بني هلال وبني سليم إلى تغييرات ديموغرافية وعرقية ملحوظة في المغرب الأوسط، حيث استقرت أعداد كبيرة من هذه القبائل في مناطق مختلفة، ما زاد من حضور العنصر العربي وتراجع نسب العنصر البربري في بعض المناطق. وكان لهذا التحول أثر كبير في تشكيل الهوية الثقافية واللغوية للمنطقة، إذ شكّل عاملًا مهمًا في عملية التعريب(35).

تُظهر التقديرات أن أعداد المهاجرين كانت ضخمة، وقد بلغت في بعض المصادر مئات الآلاف، واستقروا خصوصًا في السهول والمناطق الرعوية، مما أدى إلى اختلاطهم بالسكان المحليين من البربر. وأسهم هذا الاختلاط في تغيير التركيبة العرقية للسكان، بحيث أصبح العنصر العربي أكثر بروزًا في العديد من المناطق(36)

التعريب اللغوي والثقافي:

أدت هجرات قبائل بني هلال وبني سليم إلى انتشار اللغة العربية بشكل أكبر في المغرب الأوسط، حتى أصبحت اللغة العربية السائدة تدريجيًا في العديد من المناطق. قبل هذه الهجرات، كانت اللغة الأمازيغية (البربرية) اللغة الأم لمعظم السكان، بينما كانت العربية الفصحى تستخدم في الدواوين والمراكز العلمية. ومع استقرار القبائل العربية، انتشرت اللهجات العربية البدوية في الأرياف والسهول، وتعرضت اللهجات الأمازيغية المحلية لتأثيرات لغوية كبيرة، حيث دخلت فيها مفردات وتراكيب عربية(37).

كما كان للهجرات أثر واضح على الثقافة المحلية، إذ انتشرت العادات والتقاليد العربية، وتعرضت الفنون والأدب المحلي لتأثير الثقافة العربية. فقد أصبحت القصص الشعبية والأشعار التي تمجد القبائل العربية وتاريخها جزءًا من التراث الثقافي في المنطقة، وانتشرت الموروثات الشفهية التي تعكس الهوية العربية الجديدة(38).

التغيرات في النسيج الاجتماعي:

أحدثت الهجرات تغييرات كبيرة في النسيج الاجتماعي للمغرب الأوسط، حيث ظهرت أشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي، وأصبحت القبائل العربية وحدات اجتماعية وسياسية مؤثرة. كما تغيرت العلاقات بين العرب والبربر؛ فقد شهدت بعض المناطق توترات وصراعات نتيجة التنافس على الموارد والأراضي، بينما شهدت مناطق أخرى اندماجًا وتعايشًا بين الجماعات المختلفة(39).

في بعض المناطق أدى وصول القبائل إلى نزوح السكان الأصليين أو إخضاعهم للنفوذ القبلي العربي، بينما حدث في مناطق أخرى اختلاط وزواج بين العرب والبربر، ما أدى إلى ظهور مجتمعات جديدة ذات هوية مختلطة. وقد أعاد هذا التفاعل تشكيل الهياكل الاجتماعية التقليدية وظهر نوع من الطبقات الاجتماعية الجديدة المرتبطة بالولاءات القبلية(40).

التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدن والقرى:

تأثرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن والقرى بشكل متفاوت، فبينما تسببت الهجرات في تدهور الزراعة والتجارة في بعض المناطق بسبب الفوضى والنزاعات وتدمير البنية التحتية، فإنها في مناطق أخرى أدت إلى تنشيط الاقتصاد من خلال الرعي والتجارة. فقد كانت القبائل تمتلك قطعانًا كبيرة من الماشية، مما دفعها إلى الاستفادة من الأسواق لبيع منتجاتها وشراء احتياجاتها، كما اسهمت في تحريك حركة النقل والتبادل التجاري(41).

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الهجرات كانت سببًا في تدهور العمران في بعض المدن والقرى نتيجة الاضطرابات والنهب، بينما أدى الاستقرار التدريجي لبعض القبائل إلى نشوء تجمعات سكنية جديدة، وتحول بعض السكان إلى حياة البداوة، بينما استقر آخرون في المدن والقرى(42).

رغم أن المغرب الأوسط كان مسلمًا قبل الهجرة، فإن هجرات بني هلال وبني سليم اسهمت في تعزيز حضور المذهب السني في المنطقة، خصوصًا في مواجهة محاولات الفاطميين نشر المذهب الشيعي. فقد كانت القبائل الهلالية والسليمة تنتمي

إلى المذهب السني، واسهمت في نشره وتثبيته في المناطق التي استقرت فيها، مما أسهم في تعزيز الانتماء السني لدى السكان(43).

الخاتمة :

أكدت البحث أن هجرات بني هلال وبني سليم جاءت نتيجة عوامل اجتماعية وطبيعية مثل نمط الحياة الرعوي والرحل، وازدياد الكثافة السكانية في صعيد مصر، بالإضافة إلى الجفاف ونقص الموارد، ما دفع القبائل إلى البحث عن مراعٍ جديدة واستقرار أفضل. وأسفرت الهجرات عن إضعاف كبير للدول القائمة في المغرب الأوسط، خاصة الدولة الزيرية في إفريقية والدولة الحمادية في الجزائر، نتيجة الصراعات المسلحة والنهب والاضطراب السياسي، مما أدى إلى تراجع سيطرة الحكومات المركزية. كما أدى تراجع السلطة المركزية إلى ظهور إمارات قبلية مستقلة ومتعددة، وتحول طبيعة الحكم من مركزية قوية إلى نظام يعتمد على الولاءات القبلية والنفوذ العشائري، ما زاد من حالة الصراع وعدم الاستقرار السياسي. ونتيجة تفكك السلطة المركزية والصراعات الداخلية، تغيرت الخريطة السياسية للمغرب الأوسط، مما سمح بتدخلات خارجية مثل الاحتلال النورماني للمهدية وبعض المدن الساحلية، وهو ما زاد من تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية. كما أدت الهجرات إلى تغييرات ديموغرافية واضحة، حيث زاد حضور العنصر العربي وتراجع البربري في بعض المناطق، كما تزايد الاختلاط بين العرب والبربر، ما اسهم في تشكيل تركيبة سكانية جديدة. واسهمت الهجرات في تعزيز انتشار اللغة العربية واللهجات البدوية، وتعميم العادات والتقاليد العربية، ما أدى إلى تعريب ثقافي واسع، كما أدت إلى تغييرات في النسيج الاجتماعي وأنماط الاستيطان وظهور تنظيمات اجتماعية جديدة تعتمد على القبيلة. ولعبت الهجرات دورًا في تقوية المذهب السني في المغرب الأوسط في مواجهة محاولات الفاطميين نشر المذهب الشيعي، كما اسهمت في ترسيخ الهوية العربية الإسلامية للمنطقة وتعزيز الروابط مع العالم العربي الإسلامي.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش :

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، بيروت: دار الفكر، 2000م، ص. 152.
2. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، بيروت: دار الجيل، 1986م، ص. 89.
3. عبد العزيز الدوري، تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت: دار النهضة العربية، 1967م، ص. 214.
4. حمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: الدار التونسية للنشر، تونس، بدون تاريخ ، ص. 67.
5. شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1964م، ص. 301.
6. حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق ،ص89.
7. شولتز، فريدريك. العرب في إفريقيا الشمالية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص. 210-
8. بن خلدون، أحمد. تاريخ المغرب الإسلامي (تحقيق: محمد عبد السلام محسن). بيروت: دار صادر، 1995، ص. 145.
9. بدوي، عبد الرحمن. حركة بني هلال في شمال أفريقيا. دمشق: دار الطليعة، 2003، ص. 78
10. شولتز، فريدريك ، مرجع سابق ،1981، ص. 210.
11. بدوي، عبد الرحمن، مرجع سابق ،2003، ص. 78
12. نفس المرجع السابق،1981، ص. 210.
13. ابن خلدون، محمد ، مرجع ،1983، ص. 345
14. الزهراوي، أحمد. تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى. دار النشر المغربية، الرباط، 1997، ص. 120-140.
15. بيكر، باتريك. النورمان والصقليون: الغزوات في البحر المتوسط. مطبعة جامعة هارفارد، نيويورك، 2004، ص. 88-105.
16. الحمراوي، محمد. إفريقية بين الفاطميين والموحدين. دار تونس للنشر، تونس، 2010، ص. 65-90.
17. ابن أبي زرع، أحمد بن محمد. البيان في تاريخ المغرب والأندلس. دار الكتب العلمية، الرباط، 2002، ص. 150-175
18. مارشال، بيتر. القبائل العربية في المغرب: تاريخ وتطورات. مطبعة جامعة كامبريدج، لندن، 2006، ص. 95-115.
19. كوهين، هربرت، مرجع سابق 1998، ص. 210-230
20. نفس المرجع ،2006، ص. 95-115

21. كوهين، هربرت،1998، ص. 210-230.
22. بنتلي، جيرالد. تاريخ شمال إفريقيا: من الفتح الإسلامي إلى العصور الوسطى. دار المعارف، القاهرة، 1996، ص. 180-202.
23. الحريري، عبد الرحمن. إفريقية في العصور الوسطى: الدولة الزيرية وهجرة بني هلال. دار الطليعة، بيروت، 2008، ص. 90-112.
24. سنجر، ناثان. القبائل العربية في المغرب الأوسط: من الهجرة إلى الدولة. مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، 2011، ص. 130-150.
25. الحسيني، مصطفى. تاريخ المغرب في العصر الوسيط. دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص. 132-150.
26. العلي، سامي. الدولة الحمادية وصراعات المغرب الأوسط. دار العلم للملايين، بيروت، 2012، ص. 88-104.
27. موسى، عبد الله. الهجرات العربية إلى شمال إفريقيا: بني هلال وبني سليم. دار النهضة العلمية، دمشق، 2018، ص. 210-235.
28. نفس المرجع،2005، ص. 132-150.
29. الحسيني، مصطفى، مرجع سابق ،2005، ص. 132-150.
30. موسى، عبد الله، مرجع سابق ، دمشق، 2018، ص. 210-235.
31. هارفي، ليندا. تاريخ المغرب الإسلامي: من الفتح إلى العصور الوسطى. دار النهضة، بيروت، 2007، ص. 140-165.
32. الجمّال، حسن. الهجرة العربية إلى شمال إفريقيا وتأثيرها الاجتماعي. دار النهضة العلمية، دمشق، 2015، ص. 210-240.
33. إيفانز، مارتن. المغرب الأوسط في العصر الوسيط: الصراعات والسلطة. لندن: مطبعة جامعة لندن، 2012، ص. 95-120.
34. جونسون، ريتشارد. المرابطون والموحدون: صراع الإمبراطوريات في المغرب. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2010، ص. 55-78.
35. هارفي، ليندا، مرجع سابق ، 2007، ص. 140-165.
36. الجمّال، حسن، مرجع سابق ،2015، ص. 210-240.
37. العلوي، محمد. المغرب الأوسط في العصور الوسطى: دراسة اجتماعية وسياسية. دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 2010، ص. 190-215.
38. أرنولد، توماس. التاريخ الثقافي لشمال إفريقيا: من الفتح الإسلامي إلى العصور الوسطى. دار النهار، بيروت، 2014، ص. 160-185.
39. العلوي، محمد، مرجع سابق ،2010، ص. 190-215.
40. سعيد، خالد. التحولات الاجتماعية في المغرب بعد هجرة بني هلال. دار النشر المغربية، الرباط، 2018، ص. 120-145.
41. أرنولد، توماس ، مرجع سابق ، 2014، ص. 160-185.

42. نفس المرجع ،2018، ص. 120-145.
43. العلوي، محمد ، مرجع سابق ، 2010، ص. 190-215.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر. بيروت: دار الفكر، 2000م.
2. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3. بيروت: دار الجيل، 1986م.
3. عبد العزيز الدوري، تاريخ المغرب الإسلامي. بيروت: دار النهضة العربية، 1967م.
4. محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تونس: الدار التونسية للنشر، (بدون تاريخ).
5. شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي. تونس: الدار التونسية للنشر، 1964م.
6. شولتز، فريدريك، العرب في إفريقيا الشمالية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981.
7. بن خلدون، أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي (تحقيق: محمد عبد السلام محسن). بيروت: دار صادر، 1995.
8. بدوي، عبد الرحمن، حركة بني هلال في شمال أفريقيا. دمشق: دار الطليعة، 2003.
9. ابن خلدون، محمد، المقدمة (تحقيق: عبد الرحمن بدوي). القاهرة: دار العلم للملايين، 1983.
10. الزهراوي، أحمد، تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى. الرباط: دار النشر المغربية، 1997.
11. بيكر، باتريك، النورمان والصقليون: الغزوات في البحر المتوسط. نيويورك: مطبعة جامعة هارفارد، 2004.
12. الحمراوي، محمد، إفريقية بين الفاطميين والموحدين. تونس: دار تونس للنشر، 2010.
13. كوهين، هربرت، تاريخ شمال أفريقيا: من الفتح الإسلامي إلى القرن السادس عشر. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998.
14. ابن أبي زرع، أحمد بن محمد، البيان في تاريخ المغرب والأندلس. الرباط: دار الكتب العلمية، 2002.
15. مارشال، بيتر، القبائل العربية في المغرب: تاريخ وتطورات. لندن: مطبعة جامعة كامبريدج، 2006.
16. بنتلي، جيرالد، تاريخ شمال إفريقيا: من الفتح الإسلامي إلى العصور الوسطى. القاهرة: دار المعارف، 1996.
17. الحريري، عبد الرحمن، إفريقية في العصور الوسطى: الدولة الزيرية وهجرة بني هلال. بيروت: دار الطليعة، 2008.

18. سنجر، ناثان، القبائل العربية في المغرب الأوسط: من الهجرة إلى الدولة. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، 2011.
19. الحسيني، مصطفى، تاريخ المغرب في العصر الوسيط. القاهرة: دار الفكر العربي، 2005.
20. العلي، سامي، الدولة الحمادية وصراعات المغرب الأوسط. بيروت: دار العلم للملايين، 2012.
21. موسى، عبد الله، الهجرات العربية إلى شمال إفريقيا: بني هلال وبني سليم. دمشق: دار النهضة العلمية، 2018.
22. هارفي، ليندا، تاريخ المغرب الإسلامي: من الفتح إلى العصور الوسطى. بيروت: دار النهضة، 2007.
23. الجمّال، حسن، الهجرة العربية إلى شمال إفريقيا وتأثيرها الاجتماعي. دمشق: دار النهضة العلمية، 2015.
24. إيفانز، مارتن، المغرب الأوسط في العصر الوسيط: الصراعات والسلطة. لندن: مطبعة جامعة لندن، 2012.
25. جونسون، ريتشارد، المرابطون والموحدون: صراع الإمبراطوريات في المغرب. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2010.
26. العلوي، محمد، المغرب الأوسط في العصور الوسطى: دراسة اجتماعية وسياسية. القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 2010.
27. أرنولد، توماس، التاريخ الثقافي لشمال إفريقيا: من الفتح الإسلامي إلى العصور الوسطى. بيروت: دار النهار، 2014.
28. سعيد، خالد، التحولات الاجتماعية في المغرب بعد هجرة بني هلال. الرباط: دار النشر المغربية، 2018.